من شؤون المسلمين والعالم

لبنان وفلسطين

مأساة واحدة

لا يمكن الفصل بين قضية لبنان وقضية فلسطين ، ليس لأن للمقاومة الفلسطينية وجوداً في لبنان ، ولا لأن الكيان الصهيونيّ الباطل يتذرّع بوجود المقاومة الفلسطينية في لبنان ليضرب أبناءه وأبناء فلسطين معاً ، وليتابع تنفيذ مخطّطاته التوسّعية على حساب سائر الجهات اللبنانية والفلسطينية دون أن يجد (قوة رادعة) ما تواجهه .. هذا كلّه من النتائج التي يترتّب بعضها على بعض ، أمّا الأمر الثابت فهو أنّه لا يمكن الفصل بين القـــضيتين لأنّ الأرض أرض واحـــدة ، والشعبين أبناء أمّة واحدة ، ومستقبل كلّ من الفريقين -كماضيهما وحاضرهما- يرتبط أوثق ارتباط بمستقبل الفريق الآخر .. بوجود (إسرائيل) ومن بعده

ولا يمكن للحلول المطروحة على الساحة في الوقت الحاضر أن توصل إلى أهداف أصيلة سليمة ما ، لأنّها كانت ولا تزال تنطلق من عملية (الفصل) الزائف ، وتصدر إما عن أعداء هذه الأمّة والأرض ، أو عن المتحكّمين بمصائرها دون قاعدة شرعية لوجودهم ، ولا ارتباط حقيقيّ بشعوبهم ، ولا حرص مخلص على قضايا أمّتهم

لقد دار (يارنج) فيما يسمّونه بمنطقة الشرق الأوسط ، وتلاه (كيسنجر) ، وتبعهما (فانس) ، وجاء الدور علـــى (فيليب حبيب) و(هيج) ..

وطلب الرؤساء والملوك والوزراء السابقون والحاليّون الحلول لقضية فلسطين ولأزمات لبنـــان المتواليـــة لـــدى واشنطون وموسكو ، فريق يدّعي الاستقلاليّة عن المعسكرين وهو يمارس سياسة ترسيخ الوجود الغربيّ وصدّ الوجود الشرقيّ فحسب ، وفريق صريح التبعية للشرق ويدّعي أنّه يطلب الموازنة بين المعسكرين داخل أرضنا .. ولم يـــسفر هذا كلّه -ولن يسفر- في قضية لبناننا وفلسطيننا ، إلاّ عن مزيد من قيود التبعية ، ومزيد مـــن التمـــزّق والـــضياع والخلافات والمهاترات الجانبية ، ومزيد من الانحدار في هاوية التنازلات والتمهيد للتصفية .. مع المزيد مـــن الـــدماء والتشريد وتلقّي الضربات الإسرائيلية في قلب فلسطين وفي قلب لبنان .. وحتى بغداد

إنّ (المصلحة العليا المشتركة) شعار يرفعه الجميع ويتحدّثون عنه .. وهم أنفسهم الذين يوجّهون الطعنات إلى كلّ ما يمكن أن يؤدّي لوضع المصلحة العليا المشتركة فوق الاعتبارات الأخرى

وإنّ (الاستقلالية عن المعسكرين) شعار فارغ المحتوى عند الجميع ، والبعض صريح في تبعيته .. أمّـــا الانتهازيـــة وأنانية المصالح فصبغة تكاد تصبح هي وحدها القاسم المشترك بين الجميع

* * *

تدمير لبنان لم ينقطع منذ سنين وسنين .. على أيدي (العرب) و(اليهود) .. ومعظم الدلائل تشير إلى إعـــداده في هذه الأيام لجولة دمار جديدة ، وسواء كان المصدر الأول لها (إسرائيل) بسياستها التوسّعية الـــسرطانية ، أو كـــان الحكم الدكتاتوريّ في سورية بانتهازيته الدموية ورغبته في كسر نطاق العزلة الداخلية والخارجية والحصول على قناع زائف من الوطنية ، أو كان المصدر من داخل لبنان نتيجة تمزّق فئاته بقياداتها وفرق الميليشيا فيها ما بين الاســـتعداد للخيانة والتعاون مع العدّو الصهيونيّ وهو العدّو الأوّل ، وبين الاستعداد للقبول بتمزيق لبنان من أجل السيطرة المطلقة على بعض أجزائه ..

سواء من هو المصدر الأوّل .. فإنّ جميع هذه الأطراف تشترك مباشرة وغير مباشرة في جريمة ضرب لبنان ، أمّـــا (فيليب حبيب) و(ألكسندر هيج) و(رونالد ريجان) ، فهل هؤلاء الذين يضعون مصلحة شعب لبنان وشعب فلسطين وسائر شعوبنا العربيّة والإسلاميّة في حسابهم ، أم أنّهم يخدمون الولايات المتحدة الأمريكية فقط التي فقدت هيبتـــها منذ فييتنام حتى إيران ، وتسعى جهدها للحفاظ على ما استعادته من مراكز التبعية والنفوذ عبر (كامب ديفيد) و(قوة التدخل السريع) والقواعد العسكرية الأمريكية الجديدة .. كما تسعى لتوسيع نطاق هذا النفوذ أيضا ؟

إنّ الذين يطلبون (الحلّ الأمريكي) في لبنان وفلسطين إنّما يطلبون المزيد من الدمار والهوان ، ولا ينتظـــر منـــهم سوى ذلك فقد أصبحوا هم أنفسهم جزءاً من الوجود الأمريكي المدمّر في أرضنا

وقضية فلسطين تتعرّض لحملات التصفية المتزايدة شدّة ووضوحاً عاماً بعد عام ، ومرحلة بعد أخرى .. وفي نفس الوقت الذي يجري فيه الإعداد الآن لجولة دمار جديدة على ساحة لبنان ، يجري الإعداد أيضاً لجولة تصفية جديـــدة واسعة النطاق على ساحة فلسطين .. فالحرب على أرض لبنان تعني توجيه الضربة الأكبر للمقاومة الفلسطينية بعـــد أن حاصرها وجود ميليشيا سعد حداد في الجنوب بدعم (إسرائيل) ووجود القوات السورية في الوسط .. التي تدخل في كلّ معركة تخطر على بال قادتها المستبدّين إلاّ معركة الدفاع الحقيقيّ عن لبنان وفلسطين وأبنائهما تجـــاه العـــدّو الصهيونيّ المتعجرف وهو العدّو الأوّل

ومع ضرب المقاومة التي استحال إخضاعها لـ (كامب ديفيد) حتى الآن ، يجري السعي لاستكمال (مشروع كامب ديفيد) تحت شعارات الحلول الجماعية ، بمشاركة المقاومة بعد إضعافها ، ومشاركة (وجوه تلبس قناع الوطنية) بدعوى (مواجهة إسرائيل) على ساحة لبنان

والحكم الدمويّ الطائفيّ المتسلّط في سورية على استعداد للتضحية بشعب لبنان وشعب فلسطين معاً من أجل بقائه واستمرار قدرته على ممارسة سياسته الانتهازية في مجموع المنطقة ، كما هو على استعداد للتضحية بشعب سورية نفسه .. وما ضرب حماة بالمدفعية والطائرات قبل أسابيع معدودة ببعيدة ، ولا المذبحة الدموية في سرمدا قبل شهور معدودة ببعيدة ، ولا مذبحة تدمر قبل عام واحد ببعيدة .. وما ذاك كلّه إلاّ غيض من فيض

أمّا (البعثات العسكرية والسياسية) التي يرسلها الكريملين إلى المنطقة ، بحجة لبنان وفلسطين ، فهل تضع مصلحة شعب لبنان وشعب فلسطين وسائر شعوبنا العربيّة والإسلاميّة في حسابها ، أم أنّها تخدم الاتحاد السوفييتي الذي أغلقت في وجه نفوذه أبواب مصر والعراق ، ويسعى جهده لتوسيع النوافذ التي فتحت له عبر سورية وأنظمة حكم (عربية) أخرى في أرضنا ؟ ..

إنّ الذين يطلبون (الحلّ السوفييتي) أو مشاركة السوفييت في (حلّ دولي) في لبنان وفلسطين ، إنّما يطلبون المزيد من الدمار والهوان ، ولا ينتظر منهم سوى ذلك ، فقد أصبحوا هم أنفسهم جزءاً من الوجود السوفييتيّ المدمّر في أرضنا .. وهؤلاء كأولئك الأتباع للغرب ، لم يعد لهم دور فعّال حقيقيّ على المسرح السياسي العربيّ فضلاً عن المسرح السياسي العالميّ .. إلاّ دور التبعية للقوى الدولية

وإرادة الشعوب وأهدافها الأصيلة لا يمكن أن يعبّر عنها عدوّ يعدّ لها (المسلخ) ، ولا من يطلب (حلولاً) لقضايا تلك الشعوب بسوقها إلى (المسلخ)

* * *

إلى متى أيّها الحكام (العرب) تنتظرون أو توهمون شعوبكم بانتظار (الفرج) في قضية لبنان أو قضية فلسطين من خلال هذه السياسة .. إذا كانت (التبعية) سياسة في الأعراف الدولية ؟! ..

إلى متى تعلّقون مصائر الشعوب بأعداء تلك الشعوب ؟! ..

تنتظرون .. الحاكم الجديد في البيت (الأبيض) وما يقرّره من سياسة

تنتظرون .. الرئيس الفرنسيّ الجديد في (الإليزيه) وما يحدثه من تبدّل

تنتظرون .. نتائج مبادرة السلحفاة الأوروبية وأين ينتهي بها المطاف

تنتظرون .. نتائج التسابق الإرهابيّ على الحكم في الكيان الباطل بفلسطين

تنتظرون .. جهود (فيليب) ومن بعثه ، ومن قد يبعث من بعده

تنتظرون .. أقوال (النجوم) حول مستقبل (كامب ديفيد) ومن صنعه

تنتظرون .. ردّ (الكريملين) المحتمل على نفوذ البيت (الأبيض) القائم

تنتظرون .. فانتظروا أيّها العرب والمسلمون ما ينتظره حكامكم ، انتظروا المزيد من القنابل على المخيّمـــات في فلسطين ولبنان ، ومزيداً من المستعمرات بعد ١٦٥ مستعمرة في الضفة الغربية ، ومزيداً من القـــوارب الإســـرائيلية والطائرات الأمريكية ما بين طرابلس وصور ومزيداً من القنابل على (مصانعكم النووية) ، ومزيـــداً مـــن قـــرارات (الإدانة) في المحافل الدولية !! ..

انتظروا أيّها العرب والمسلمون احتمال ضياع لبنان بعد فلسطين .. والمرحلة التالية للمخططات الصهيونية ما بين الفرات والنيل

* * *

إنّ شعوبنا انتظرت طويلاً ، وكانت ولا تزال هي التي تقدّم الضحايا بعد الضحايا في كلّ معركة جديدة ، سواء في ذلك الحروب التوسّعية والضربات الغادرة الصهيونية ، أو الحروب والمعارك الجانبية بين أنظمة الحكم المتسلّطة من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب في وطننا الكبير ! ..

الشعوب هي التي تقدّم الضحايا في المعارك .. ولطالما اعتبرت الأنظمة الحاكمة نفسها (منتصرة) بعد كل هزيمـــة وقعت .. لأنّ الهزيمة لم تؤد إلى إسقاطها ، ولولا وجودها ما كانت الهزائم ، ولا يكاد يكـــون لأحـــد مـــصلحة في وجودها قدر مصلحة أعداء هذه الأمّة وفي مقدّمته (إسرائيل) بحروبها العدوانية التوسّعية

والشعوب هي التي كانت تدفع أيضاً ثمن كلّ عملية (سلام) من حقوقها وحاضرها ومستقبلها على كلّ صـــعيد سياسي واقتصادي واجتماعي ، سواء في ذلك فكّ الارتباط هنا وهناك ، أو (عقد معاهدة) منفردة ، أو جلب (قوات دولية) أو تشكيل (قوات رادعة) .. وسواء كانت التسويات في ظلّ أمريكا المهيمنة أم تحت (مظلّة دوليّـــة) .. ومـــا كانت تلك التسويات تحققّ في النهاية سوى هدف بقاء الأنظمة التي تعقدها واستمرار سيطرتها حتى (الجولة التالية) ، جولة الحرب الخاسرة أو التسوية المجحفة ..

أما الأرض .. والشعب .. ومستقبل المنطقة بأسرها ، فمتروك باستمرار ، في كلّ (جولة) ، إلى تلك (الجولة القادمة) التي تتغنّى الأناشيد بـ (النصر المؤكّد فيها) وتشيد البيانات والخطب والمؤتمرات والأجهزة الإعلامية بـ (بطولات) أنظمة الحكم (المنتصرة) فيها ! ..

ولقد كان ولا يزال المخلصون هم الذين يتصدّون في مقدّمة الصفوف لكلّ عدوان خارجيّ ، ما لم يزجّ بهم في السجون مسبقا .. تمهيداً للهزيمة ..

ولقد كان ولا يزال المخلصون هم الذين يقدّمون الضحايا وليس في استطاعتهم سوى ذلك بحكم إخلاصهم الحقيقيّ للأرض وللشعب وللحقوق الأصيلة الثابتة .. ورغم وجود الأنظمة المستبدّة وانتهازيّة سياستها

والأنظمة إلى زوال مهما طال بها الأمد

ومعركة إسقاط الأنظمة المستبدة والفرق المتحزّبة المتسلّطة معركة دائمة حتى يقوم الحكم الإسلامي الرشيد

ولئن ظنّت الأنظمة المستبدة أنّها تخرج من الهزائم العسكرية التي تصنعها والنكبات السياسية التي تسبّبها أقوى ممّا كانت عليه لمجرّد بقائها على سدّة التسلّط .. فإنّ المنتصر الحقيقيّ في النهاية هو هذه الشعوب ، تقدّم التضحيات ويزداد وعيها بواقعها ، وتتحمّل وطأة الكوارث وتزداد يقيناً بأنّ أصل الكوارث هو ذلك الواقع الفاسد الذي يرسّخه حكامها .. ولا بدّ من تقويضه من الجذور

وستنقضي بإذن الله مرحلة النكبات التي نعاصرها هذه الأيام ، وستمسك الشعوب بزمام أمورها بأيديها ، وتواجه الأعداء الداخليين والخارجيين وتضع حدّاً نهائياً لما يصنعونه في أرضنا من هزائم وكوارث ، وتكتب بدماء التضحيات صفحة جديدة مشرقة تسود فيها القيم الأصيلة من جديد ، ويلتقي فيها أبناء الأرض الواحدة من لبنان وفلسطين ومن كلّ بقعة إسلامية ، على طريق التحرّر من الاحتلال الخارجيّ والاستبداد الداخليّ ، وطريق العزّة والكرامة والوحدة والتقدّم والعدالة

سيسقط الطغيان بإذن الله .. ويندحر العدوان بعون الله ، وسيشيّد هذا الجيل كما فعل أسلافه الأوائل مجتمع الحياة الإسلاميّة والحكم الإسلامي ويحمل رسالة الهدى والحقّ والخير للبشرية جمعاء

﴿ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ۞ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ١٠٢-١٠٣] .